حرية المرأتين

الغربية والشرقية

لقد ضلت الامم الاوروبية على اختلاف مللها ونحلها وندت عن السلوك في الخطة الواجبة المطلوبة ومهما زعمت ان ماتفعله انما هو الحرية فقد شذت في تصرفها اذ ارادت ان تؤسس شيئاً سمته المدنية فخربت شريعة اجمع على سنها الدين والطبيعة فتولدت من ورائها انواع الفساد وبطل السيرة فتشتت الأسر وتضعضعت الالفة وعصيت الاباء والازواج وهتكت الاعراض والحط شرف الانسانية الى آخر درك

وقبل ان نبتدئ بالبحث نذكر شيئاً عن تمدن اوروبا المتعلق بموضوعنا هذا والذي نؤسس عليه كلامنا عن اضرار الحرية المطلقة المعطاة للمرأة اذ ان هذه الحرية لم تصدر في زعم الاوروباويين الا عنه وما هم في زعمهم هذا الا في ضلال لان مايسمونه ومايخالونه تمدناً ليس هو بتمدن حقيقي وانما هو تمدن كاذب يدعو الى نقض شرائع الدين والطبيعة اللذين بدونهما لاقيام الانسانية ولا ثبات للعمران

فالتمدن الحقيقي يقوم بتجنب الانسان العاقل جميع الامور التي تنفر منها طبيعته السليمة والمراد بالطبيعة السليمة القوى التي يديرها العقل وهذه القوى رغماً عن تباين اميالها فانها تتفق بادارة العقل على تجنب امر ربما وافقها وانكره نفس العقل او جاء طبقاً لرغائبها وكرهته القوة المديرة وعليه يترتب ان كل عمل تنفر منه الطبيعة السليمة فهو عمل مناف للتمدن وان كل امر

لاتنفر منه الطبيعة فهو جوهرة من عقد التمدن الثمين. فنحن الشرقيين على الاطلاق قد ساقتنا شدة الجهل وعدم التدبر الى ان صرنا نثق الثقة العمياء بالاوروباويين فنحسب كلما يصنعونه تمدناً ولو كان لاأثر فيه للتمدن ونعتبر كل اعمالهم فضائل قياسية ولو كانت رذائل فاحشة. ولكن كل من امعن النظر في الامر وتناول ما نقوله في مقالتنا هذه بعين العدل حكم على ان الاوروباويين اذا كانوا يفوقوننا ببعض عوارض غير جوهرية من التمدن فنحن نفوقهم ببعض امور جوهرية وان كان ينقصنا كما ينقصهم امور كثيرة منه

فان الاوروباويين يعتبرون النظافة تمدناً وهو اعتبار لارد عليه. وهم يعتبرون الدعة والانس في المعاشرة تمدناً وهو مالايجادلهم فيه احد ويعتقدون النظام في المعيشة تمدناً وهذا حق. ويقولون ان الاداب في التسليم والزيارات من جملة التمدن وهو مالا ينكر. وهم يرون مشاركة الغير في السراء والضراء تمدناً ورأيهم هو السديد. ثم هم يعتبرون تأسيس الجمعيات الخيرية والمستشفيات وانشاء الاجتماعات والمحافل العلمية انها كلها تمدن وهذا ماتقدم من مثله حق لامشاحة فيه

ولكن الاوروباويين لقد ضلوا اذا كانوا يحكمون بان التمدن يقضي بالحرية بوجه العموم وبتحرير المرأة تحريراً مطلقاً وجعل مقامها ارفع من مقام الرجل وارادتها فوق ارادته وسلطتها فوق سلطته حتى قام بعضهم وفي مقدمتهم الفيلسوف الفرنساوي اوجيست كونت ينادون بان البشرية والانسانية هي الآلهة المعبودة وان المرأة هي ممثلة الانسانية فصنعوا لها تماثيل للعبادة وبلغ بهم الجهل والكفر ان انزلوا في فرنسا ابان الثورة قربان

المذبح في كنيسة القديسة جونفياف في باريس واقاموا مكانه امرأة عاهرة عارية وقدموا لها تقدمات العبادة وحكموا بهذا وما عرفوا ان وراء ذلك نقض التمدن ودك دعائمه وخراب الانسانية وهدم الاجتماع البشري

افنحسب من التمدن امراً يخالف قياس الطبيعة والدين افنحسب التمدن سبيلاً فتح للعالم الانساني ابواباً فسيحة لافظع الشرور وشرها فعظم بسببه الفسق وهتكت الاعراض وكثرت المومسات وتتابع الطلاق وضعفت شريعة الزواج وقلت المواليد وتعدد القتل والانتحار . فاي شيء تنفر منه الطبيعة السليمة كما تنفر من مثل هذه الامور لابل اي شيء يوثر في القلب الانساني الشريف تأثير هذه الفظائع

في اي عصر تكاثر الفجور كما تكاثر في عصرنا هذا بل في اي زمن قد عم الفسق المسكونة كلها كما عمها في هذا العصر لابل في اي جيل قد سكت عنه كما سكت عنه في جيلنا هذا فيالسقوط البشرية ويالانحطاط الحيوان العاقل الناطق ومن اين تأتى هذا وكيف بلغ هذا المبلغ المخيف المرعب . أليس من اطلاق الحرية للمرأة . بلى فهذه المرأة التي توئيدها الطاعة برجلها لاتجد على الغالب سبيلاً ترضي به اميالها المعوجة واذا اتفق وجود هذه الاميال فان المحافظة عليها تحول دائماً دون رغائبها وخوفها سلطة فوق سلطتها يكون رادعاً كافياً لان يريها عن بعد بئس مصيرها وشقاء منقلبها فترجع عن اعوجاجها وتعود عن غيها . واذا كانت هذه المرأة المقيدة بالطاعة لرجلها من ذات طبعها شريفة فانها تلبث دائماً مصونة كهيكل مقدس فتعرف واجباتها وتحترم السلطة الحائمة عليها اذ ليس لها من الحرية في الخارج مايعرضها الى عواصف واخطار المغازلات والمراودات فتبقى كما كانت سراجاً

يتلألأ شعاعاً وجوهرة بعيدة عن كل فساد

اما المرأة الاوروباوية المطلقة الحرية فاي مانع يمنعها عن اتمام مرغوبها وارضاء اميالها : أواجباتها وهي ترى الميل يحكم على هذه الواجبات هذا اذا كانت تعرف الواجبات . ازوجها وهي ترى نفسها ارفع منه مقاماً واعظم منه سلطة وقدراً تأمره فيطيعها وتنتهره فيذعر منها اذا ذهب استرضاها واذا عاد قبل يدها واذا رافقها كان لها تابعاً . ما الذي يوقفها عن السعي وراء فجورها هل المحافظة عليها وهي ترى نفسها حرة تستطيع الذهاب اين شاءت دون استسماح زوجها وتقبل في بيتها من الزائرين من ارادت ان رضي او لم يرض فقبحاً لمثل هذه الحرية ويالشقاء الشعب الاوروبي الذي سلم بها وسن موادها اما المرأة الاوروباوية الشريفة النبعة والطبع والتي لها من الحرية ما للمرأة الفاسدة فكيف نستطيع ان نضمن شرفها ونتأكد دوام محافظتها على نقاوة مسيرها ونحن نراها ملزمة بالسلوك في سبيل الحرية الجديدة التي اختارها التمدن الاوروباوي وحسب كل من تبرأ منها خالياً من الحضارة متأخراً في المدنية . فألى كم من الاخطار تعرضها هذه المدنية فانها تارة تقضي عليها بالذهاب الى الملاعب حيث تتعرض لنظر الكثيرين وطوراً الى الملاهي فترشقها الالحاظ فاذا سلمت مرة لاتسلم اخرى . وما قولك في العادة الحميدة التي افتخرت المدنية بانها كانت باكورة اثمارها وهي العادة التي تحسب عماد المحافل والاعراس والاعياد حيث تأخذ المرأة بيد رجل ربما لم تعرفه من قبل وتشرع واياه في الرقص وكيف يسلم العقل بنجاة هذه المرأة الشريفة من الوقوع في اقبح التهالك وشرها والمرأة على الغالب اذا كانت جاهلة (١)

(١) نستلفت الانظار الى الذي سنكتبه عن المرأة العاقلة في الجزء القادم

ومهما كانت شريفة فهي واهنة العزم شديدة الحس سهلة الانخداع واني لنا ان نحذرها من حنث عهودها وتعريض عرضها وتسليم شرفها وقد صح فيها قول من قال :

القاه في اليم مكتوفاً وقال له اياك اياك ان تبتل بالماء

وعند هذا القول لا بأس ان نذكر كلاماً سمعناه ابان وجودنا في باريس نتلقى العلوم وقد رسخ لقوته وصحته في عقلنا فضلاً عن كونه صدر من فم رجل شهد له الفرنساويون اجمع بوافر العلم والخبرة وبمعرفة الفلسفة والتاريخ والخطابة وبالخصوص بمعرفة اصل المفاسد في اوروبا ونعني به المنسنيور دي هيلت اذ قال وهو يخطب في المرأة : ان سنة الحرية الجديدة التي قامت منادية بها مدنيتنا الحاضرة الفاسدة قد كانت سبباً لهتك عرض ثمانين امرأة في المائة من المتزوجات وثلاثين في المائة من الابكار ولالقاء الانشقاق في خمسين اسرة في المائة قد انتهى امرها بالطلاق او بالانفصال الدائم

فمن يسمع كلاماً كهذا خرج من صدر رجل خبير عالم صادق تثبته الحوادث الحاضرة ويتحققه كل من عرف اوروبا وبحث في احوالها وينكر علينا التسليم بان اعطاء الحرية والسلطة للمرأة قد اكثر الفساد في العالم وافقد كثيرات من النساء الشريفات الطبع صيتهن وعرضهن . فعبثاً نكران هذا واظن ان ما من احد يحليه شرف النفس وطهارة الذيل ينفي لما قدمناه او يضع موضع الشك والريب ماأثبتناه حبيب المعوشي

احد تلامذة كلية باريس سابقاً

الشعر العصري

٩

المقدمة

ومن ولد ابي طالب رضي الله عنه العباس بن الحسين وهو حسن بزة الشعر رقيق حاشية النظم قال فيه المأمون من اراد ان يسمع لهواً بلا حرج فليسمع كلام العباس فمن رقيق شعره قوله

اتاح لك الهوى بيض حسان سبينك بالعيون وبالثغور
نظرت الى النحور فكدت تقضي فاولى لو نظرت الى الخصور

وما ارق قوله

صادتك من بعض القصور بيض نواعم في الخدور
حور تحور الى صبا ك بأعين منهن حور
وكانما بثغورهن جنى الرضاب من الخمور
يصبغن تفاح الخدو د بماء رمان الصدور

وكتب الشريف الرضي وهو من فروع هذه الدوحة الباسقة الى الامام القادر بالله من قصيدة

عطفاً امير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لانتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ابداً كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فانني انا عاطل منها وانت مطوق

ومن مشهور قوله